جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

تاريخ مملكتي المونوموتابا والكونغو

محاضرات موجهة لطلبة السنة الأولى ماسترتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

تقديم الدكتور سليماني يوسف

الموسم الجامعي 2020/ 2021م

المحور الأول: مملكة المونوموتابا

الإطار الجغرافي لمملكة المونوموتابا:

مملكة المونوموتابا واحدة من أهم الممالك التي ظهرت خلال العصور الوسطى في الجنوب الاوسط لإفريقيا، حيث قامت داخل البلاد التي تعرف اليوم بزيمبابوي، أو روديسيا الجنوبية إبان فترة الاستعمار.

وعليه تقع روديسيا في الجنوب الأوسط من إفريقيا تحيط بها الأراضي من كل جانب تحدها الموزنبيق من الشمال الشرقي والشرق، جنوب إفريقيا من الجنوب، بوتسوانا من الجنوب الغربي، وزمبيا من الشمال الغربي، ولا سواحل لها، وتبلغ المساحة الإجمالية لزيمبابوي بـ 400 000 كم^2 ، وعدد سكانها حوالي 8.5 مليون نسمة يمثل الإفريقيون الأغلبية الساحقة، حيث ينتمي أغلبهم إلى قبيلتين رئيسيتين هما المتابيلي والماشونا أو الشونا.

ويتكون سطح زيمبابوي من هضبة هي جزء من هضبة جنوب إفريقيا؛ أي أنها امتدادا شماليا لها، ولذلك ترتفع نصف مساحتها عن 2500 قدم فوق سطح البحر، بينما المساحة المتبقية ترتفع عن 3500 قدم، وتميز المناطق التي تقع في حوض الزمبيزي (نهر) في الشمال، والليمومبو (نهر) الأكثر اتساعا في الجنوب بالانخفاض حيث يقل ارتفاعه عن 900 متر.

مناخ زيمبابوي معتدل عموما مما أغرى الأوربيون بالهجرة إليها والتمسك بها، يتميز بفصلين واضحين فصل حار شهري أكتوبر ونوفمبر، وفصل معتدل يشمل باقي أشهر السنة.

تشتهر زيمبابوي بزراعة التبغ حيث يصل معدل انتاجها سنويا إلى 150 مليون كغ والشاي الذي يصل انتاجه إلى 2 مليون طن إلى جانب زراعة البن، الذرة، القطن، قصب السكر.

التعريف بقبائل الشونا: تعتبر قبائل الشونا المجموعة الإثنية المسيطرة والاكثر في زيمبابوي بنسبة 75 % من مجموع السكان معظمهم يعيشون بين نهري الزمبيزي والليمومبو، وهي تنتمي إلى مجموعات البانتو التي جاءت من إفريقيا الوسطى، ثم اتجهت نحو الجنوب ضمن ما يسمى بالبانتو الجنوبيين، وتعود جذورهم إلى مجموعة البانتو اللغوية إلى العصر الحديدي، حيث امتهنوا الفلاحة واستقروا في هضبة زيمبابوي حوالي 200 ق م.

ولم يعرف عنهم في هذه الحقبة سوى عملهم بالحديد، وخلال القرن العاشر ميلادي تطورت حضارة الشونا وتوسعت مساحتها حيث أصبحوا بارعين في صناعة الذهب والنحاس حتى أصبحت تتاجر بهما مع المدن الساحلية فاضحوا من أثرياء المنطقة، والدليل على ذلك مقابرهم التي زينت بزخارف من الذهب والخرز والقماش المستورد، ورغم اختلاف لهجاتهم إلا أنها لغة واحدة هي لغة الشيشونا.

أصل تسمية المونوموتابا:

كان هذا المصطلح معروفا من خلال الوثائق البرتغالية، وقد اتخذ عدة تسميات منها: مونميتابا mwenemutapa، مونوموتابا Monomotapa، مينهي ميتابا Munhumutapa، أما عن معناها فقد طرح هذا الموضوع الكثير من النقاش، وقد اقترح المؤرخ 'راندرس' أن معناها هو ابن الوطن وقد شرحها كما يلي:

Mwana= child , Mutapa = Captive، أما دونالد أبراهام فقد اقترح أن معناها هو السيد الناهب، وبلغة الزولو تعني الإنسان الذي يكتشف، لكن معنى ابن الوطن هو الشائع.

إن ترجمة مصطلح Mutapa في لغة الزولو ليست نفسها في معجم الشونا، بحيث تعني في لغة الشونا الشخص الذي يستولي، ومصطلح 'موينى' تعني المالك الذي يجمع بين السياسة والدين؛ أي مالك وصاحب الأراضي الخصبة، وعليه فكلمة مونوموتابا هي كلمة برتغالية الأصل، وهي ترجمة للعنوان التالي: رب الأراضي المحتلة أو رب الكل.

<u>الموقع الجغرافي للمونوموتابا:</u>

مملكة المونوموتابا تسمى أيضا زيمبابوي العظمى تقع بين نهري الزمبيزي والليموموبو في بلاد زيمبابوي وجزء من موزنبيق، وكان امتدادها الجغرافي مثيرا للجدل بين المؤرخين فالمعاصرين منهم قالو وعلى رأسهم بيار ألكسندر (pierre Alexander) في كتابه الأفارقة (les africane) فقد حدد مجالها بين كل من الموزنبيق، زامبيا، زيمبابوي، مالاوي، وكانت نواها الأولى في شمال زيمبابوي في حين المؤرخين القدامى قالوا بأن امتدادها وصل حتى رأس الرجاء الصالح في الجنوب.

<u>تابع: المحاضرة الثانية</u>

الأسواق البرتغالية في بلاد الشونا:

شهدت الفترة 1575- 1684 تغيرا في نمط التجارة بين الفلاحين الإفريقيين، والتجار البرتغاليين، وقد عزز هؤلاء البرتغاليون انتصارهم التجاري والعسكري على العرب والسواحليون بتحول الأسواق القديمة إلى أسواق برتغالية، وكانت الأراضي التي تقام عليها هذه الأسواق ممنوحة من الرؤساء المحليين، وبمرور الوقت أصبحت نقاط الاتصال الرئيسية للمعاملات التجارية بين الإفريقيين، والبرتغاليين، وهي عبارة عن مناطق كبيرة محاطة بأسيجة خشبية منخفضة، وفي داخلها أكواخ مبنية من الطين بالقرب من مناطق تعدين الذهب، ولكل سوق حصن وحامية يتراوح عدد أفرادها ما بين 10 و 15 جندي، إلى جانب كنيسة وقسيس ومأمور (مسؤول السوق وأغنى رجل فيه) مهنته فرض الضرائب ومراقبة الأسعار والتحكيم بين التجار الأفارقة والبرتغاليين.

بإجماع المؤرخين يعتبر سوق 'دامباراري' أفضل سوق في أنهار سينا؛ إذ كان كل التجار الأغنياء من أصحاب النفوذ يتاجرون فيها إلى جانب أسواق أخرى مثل: تشيتومبو، رويزي،

ريموكا، ماتافونان، وبمرور الوقت وزيادة نفوذ البرتغاليون في المنطقة أنشأ هؤلاء خلال القرن التاسع عشر أسواقا في شمال الزمبيزي مثل سوق زامبو، ميشونغا، وهذا كله بعد زيادة اكتشاف الذهب، وبداية تقلص نفوذ المونوموتابا، ففي قبيلة مانيكا كان مسموحا للبرتغاليين بحرية المرور في كافة أنحاء البلاد، لكن أنشطتهم التجارية تخضع لرقابة محكمة من حكامها كما كانوا يدفعون الجزية والضرائب عن كل نشاطاتهم بالمنطقة.

المحاضرة الثالثة:

الحياة الإجتماعية في المونوموتابا:

ينقسم مجتمع الشونا مثل غيره من المجتمعات إلى تقسيمات تبدأ من الأسرة إلى العشيرة ثم القبيلة.

1 الأسرة أو الإمبا (Imba): تعتبر الأسرة هي النواة الأولى لدى مجتمع الشونا، وتعرف لديهم بـ 'الإمبا' وهي عبارة عن كوخ يتكون من رجل وزوجته (أو زوجات) وأطفالهم يملكون حديقة أو مزرعة خاصة تلبي حاجياتهم من الغذاء يسكنون ذاخل القرية يتراوح عدد أفرادها من 2 إلى 30 فرد أو أكثر، كما يطلق عليها اسم 'مانا'Mana أيضا، وعليع فالأسرة أو المانا عند الشونا هي ليست وحدة اجتماعية فحسب بل هي وحدة انتاجية أيضا حيث تزرع هذه الأسرة جل المحاصيل التي تلبي حاجياتها كالأرز، والدخن، والفاصولياء، الذرى، حيث تزرع عادة في حديقة المنزل، كما لهم حدائق أخرى تابعة للزوجة، أو الزوجات والأطفال الأكبر سنًا غير المتزوجين، وتزرع الزوجات في حدائقهن الخضروات مثل الفول السوداني، القرع، الفول، الخيار...

والرجال عندهم الشونا يقومون بالأعمال الشاقة حيث يذهبون لمزارعهم كل صباح، كما يمارسون نشاط الصناعة، مثل صناعة السلال، واللوحات الخشبية، والملاعق، والعصي، ومن جهتها الزوجة مسؤولة عن جميع الأعمال المنزلية خصوصا الطبخ، وتخمير الخمر.

2 القرية أو الميشا (Musha): الوحدة الاجتماعية والاقتصادية التي ـاتي بعد الأسرة هي القرية أو الموشا، ورئيس القرية يعرف باسم 'ساموسا'، أو 'موينو موشاب'، وعادة ما يؤسس القرية أكبر رجل من الذكور، ولم يتم تحديد تكوين القرية، وحجمها وفق معايير محددة فهي تختلف من واحدة لأخرى لكن في الغالب تتألف القرية من الرجال ذوي القرابة، وأسرهم، وكانت علاقات القرابة عاملا هاما في حياة القرية، ومع ذلك لم تكن كل القرى ترجع إلى أصل واحد، وهي قليلة

جدا، وقد احتوت معظم القرى على بعض الغرباء الذين أتوا من الخارج ويعرفون بـ 'الفاتوروا'، والذين لم يسمح لهم العيش في قريتهم الأصلية.

وعند التافارا كان يعيش الزوج مع والدي زوجته يخدمهم لمدة سنة قبل أن يسمح له بالابتعاد مع زوجته، وعليه كان الصهر عند الموتابا موثوقا به.

وكان عدد سكان القرى يختلف من واحدة لأخرى حسب الظروف الإقتصادية والموقع الخاص بالقرية، ومن جهة أخرى كانت القرية تعمل كوحدة إقتصادية للإنتاج وينظر إليها على أنها عشيرة فإن رغب شخص في خدمته أرضه أمر زوجته بتحضير الطعام، والخمر واستدعى هو أهل القرية إلى العمل الجماعي، كما كان يجري الصيد، وصيد الأسماك بجهود تعاونية خصوصا صيد الفيلة، سواء للاستفادة من لحومها أو عاجها فيتعاون أهل القرية على بحفر حفر كبيرة أو مهاجمتها بالرماح التي تسمى أساجيس.

ومن عاداتهم أيضا أن يجتمع أهل القرية كل ليلة في بيت كبيرة يتقاسمون فيها وجبة المساء ويتبادلون وجهات النظر إن كان هناك مشاكل أو قضايا، وتعد جمعية القرية بمثابة المحكمة يحتكم فيها المتخاصمون في القضايا البسيطة، وكانت المساعدة في وقت الخطر أو المجاعة، أو العمل هي السمة المميزة للقرية، وقد وصفت في بعض الأحيان بالاشتراكية الإفريقية.

3 <u>مجموعة قرى أو 'دينهى':</u> تشكل عدد من القرى حيا كبيرا أو 'دينهي' يقودها رئيس فرعي يعرف باسم 'سادزنهو' وفي منطقة 'مانيكا' وسوفالا بموزنبيق كان يعرف السادونهو باسم 'إنكوس' أو 'إنكوسي'.

والدينهي هي موطن لشعوب الشونا والسادونهو يكون عادة من نسل أول رجل انتقل إلى المنطقة أو عضو من أسرة كبيرة فرضت نفسها على السكان الموجودين، وللسادونهو مجلس خاص يحل فيه مشاكل الحي الكبيرة، وعلى العكس من القرية ليس كل رجل بالغ يمكنه الجلوس في جميع جلسات السادونهو، ويساعد هذا الأخير مجموعة مستشارين أو بعض أصدقائه او الرجال المهمين في الحي و يعمل عادة السادونهو على حل منازعات الأراضي و القاضايا الجنائية و المدنية التي لايمكن حلها على مستوى القرية.

هذا ومن عادات الشونا أن لهم عطل عديدة خلال الشهر الواحد خصوصا يوم القمر الجديد شهر ماي من كل سنة حيث يعتبر عيدهم العظيم الذي يسمونه' تشاور' حيث يحضر جميع أمراء الممالك التابعة للمونوموتابا مع جمع غفير عند الملك وتقام الألعاب بالرماح التي تسمى 'بيميرام' الى جانب قرع الطبول و نفخ الأبواق و يشاهد الملك من مقعده هذا الأمر طوال اليوم ثم ينسحب ليلا و لا احد يراه مرة أخرى لمدة ثمانية أيام، و خلال تلك المدة يبقى قرع االطبول قائم ليلا و نهارا و في اليوم الثامن من الشهر القمري يأمر الملك بقتل أحد النبلاء الذي يعتبر كذبيحة العيد

أي يسمي 'موزيموس'،ثم تتوقف الطبول ويعود كل واحد لبيته، ويعتبر هذا عيد الشكر لموسم الحصاد .

4. **المدينة أو نايكا nyika**: تختلف أحجام المدن أو النايكا من واحدة إلى أخرى حيث وجدت من كانت بمسافة 30 كم في طول و فيه من وصلت حد 90كم كما يتفاوت عدد سكانها كذلك حسب حجم الأرض و قدراتها الاقتصادية ووصلت حسب الإحصائيات البرتغالية إلى حد 10 ألاف نسمة مثل مدن نيكاو، و ميغانهو.

يحكم المدينة أو النايكا رئيس أو زعيم يعرف باسم 'مادزي' أو ' سينغور' و تعتبر دار الرئيس او المادزي هي محكمة الاستئناف العليا التي يمكن أن يفرض فيها الزعيم عقوبة الإعدام،و يتم اختيار الرئيس من قبل الملك، كما يستمد دخله من عدد من المصادر كالرسوم القضائية، كما وصف المؤرخ 'دي باروس'دخل الرئيس بقوله ' إن جميع ضباط وخدم المحكمة و الجنود يجب أن يخدموا الرئيس في زراعة حقوله أو أعمال أخرى سبعة أيام كل ثلاثين '، في حين الرعية تدفع ضرائبا له إما من الماشية أو الحبوب أو الذهب .

الزواج عند الشونا: إن مجتمع الشونا كان مقسما إلى سلالات، وكل رجل ينتمي إلى سلالة أبيه، أما المرأة فبمجرد زواجها تصبح تابعة لسلالة زوجها، وكل سلالة يرمز لها بحيوان يُحمل أو يوضع في مكان ما؛ لكن يمنع على كل شخص غريب الزواج من إبنة قبيلته ن ويتعاون كل سكان القبيلة أو القرية في البحث عن زوجات لأبنائهم، وعليه يوجد في كل قرية ثلث سكانها ينتمون إلى سلالة واحدة، وهذا من خلال التقاليد التي اتبعوها، ومن جهة أخرى يعتبر الزواج الجيد عند الشونا هو الزواج الذي يأتي بالفائدة؛ أي بكسب أراضي جيدة وغيرها، والحصول هلى إمرأة جيدة يقابله كذلك الحصول على رؤوس ماشية كبيرة، وهذا للتقليد السائد؛ إذ للأنساب حق في الحصول على أراضي وجزء من ثروة أهل الزوجة.

وفي الأراضي المنخفضة للزمبيزي ينظم الزوج إلى عائلة زوجته ويعيش في بيت نسيبه، والمهر هو بالعمل عنده.

المحاضرة الرابعة

الحياة الدينية عند المونوموتابا:

1-. عبادة الإله الواحد (إله السماء): كشفت دراسات العلماء عن وجود عنصرين رئيسيين في دين الشونا التقليدي؛ أي مفهوما الله السامية، وتوقير السلف، وحسب المؤرخ البرتغالي 'دامياو غوي' يقول: "لم يعبد الشونا الأصنام بل عبدوا إلاها واحدا خالق كل شيء يعبدونه ويصولون له"، وإله الشونا الأكبر يعرف باسم 'ميلينغو'.

وقال المؤرخ مانويل فاري: "إن الشونا لا يملك أي دين، ولا تعبد الأصنام، ولكن تعترف بإلاه واحد....وهم يعتقدون أن أرواح ملوكهم تذهب إلى السماء وتدعوا لهم في وقت الحاجة وهي مقدسة بالنسبة لهم".

ومن جهته المؤرخ 'بوكارو' كانت له وجهة نظره فكتب "أنهم يعرفون أن هناك إله السماء، وهم يعتقدون أن أرواح ملوكهم تذهب إلى السماء، وعندما تكون هناك يسمونهم ميزوموس"

2 عبادة أرواح الأسلاف 'الموهوندرو': معظم المصادر البرتغالية تحدثت عن عبادة أِواح الأجداد "موهوندرو' أكثر منها عن عبادة الإله الأعلى، وهذا لما كان موجودا عندهم من الكهنة الذين يدعون أن أرواح الملوك الموتى قد دخلت أجسامهم، وقبل أن يتحدث هذا الكاهن مع الرعية يبتلع تبغا ممزوجا بالماء ويأخذ بيده تمثالا منحوتا على شكل مخالب أسد، ثم يدخل إلى بناء ضخم ليقدم نفسه ك' موهوندرو' أمام العامة حيث يسألوه عن كل الأمور المتعلقة بالحرب والسلم، ومرات يتحدث بلغات غير مفهومة، وأغلب هؤلاء يدعون أنهم يحملون روح الملك السابق المتوفى، فيلقى الاحترام والخوف أكثر من الرعية.

وأشارت بعض المصادر أن أكبر موهوندو (روح الملك) هي روح الملك 'ماتوب'، وأقدم روح هي روح الملك 'ميتوتا' مؤسس المملكة.

هذا وكان لكل منطقة موهوندرو الخاص بها، والمسماة روح المحافظة، وبالتالي فروح الموهوندرو لا تكن في قصر الملك فقط؛ بل حتى في المحافظات، ولدى بعض العائلات المعارضة.

ويعتقد سكان الشونا دائما أن روح الموهوندرو مهتمة وتشعر بالقلق تجاه المسائل التي تتطرق إلى القضايا الوطنية كالحرب، والسلام، والخلافة، والأوبئة، الأمطار، الغزوات، الجراد، المجاعات.

وفي هذا الجانب يتحدث كذلك الدكتور 'غاربات' أن الموهوندو كوريكور كان في الأصل مسؤولا عن النظام الأخلاقي، وعن علاقات الناس ببعض في الارض، في حين الرؤساء هم المسؤولين عن حفظ النظام والقانون، وبشكل عام يمكن القول أن أن عبادة الموهوندرو المالكة كانت ذات بنية هرمية، وهذا ما أعطى قوة عظيمة لها، كما كان تأثير في مصير المملكة فتقدم لها (الموهوندرو) الهدايا، القماش، الخرز، الفتيات....

<u>محاولات نشر المسيحية في المونوموتابا.</u>

استكمال عملية الكشوف الجغرافية للبرتغاليين في شرق إفريقيا، ووصولهم إلى الهند والصين، وتعزيز وجودهم في شرق أفريقيا بإقامة حاميات، وحصون بدأو في عملية نشر المسيحية بالمنطقة، وهذا لتعزيز وجودهم بالمنطقة أكثر، وعليه فقد تم تعيين المنصر 'كونسالو دا سيلفيرا' عام 1560 لنشر المسيحية بالموزنبيق بعد ما كان في الهند ابتداء من 1556، كما كان يحلم هذا الأخير بتحويل وسط وجنوب إفريقيا إلى المسيحية معتقدا في نفس الوقت أن أسهل طريقة لذلك هي صلته القوية مع ملك المونوتابا 'نقومو ميبانزيقيتي'، حيث كانت هناك صلة قوية بين السياسة والدين في الحياة اليومية للمملكة، وبناء على ذلك قررت البرتغال التسلل إليها من خلال الدين المسيحي فأوفدت المنصر 'سيلفيرا' واثنين آخرين، وبدأ سيلفيرا مهمته من مدينة سوفالة في 11 مارس 1560م، والتي مكث بها 7 أشهر، وأوعز إلى حكومته أنه استطاع إدخال ملك (ماكارنجا) و 400 من أتباعه، وفي نهاية العام كان في طريقع إلى نهر الزمبيزي، وفي 26 ديسمبر دخل العاصمة، وبدأ بتحويل العائلة المالكة إلى المسيحية بعد طلب الإذن لزيارة الملك 'نغومو ميبانزيقيتي' في ديوانه، وركز أكثر على النساء والرجال في الطبقة الحاكمة لأن النساء كن أسهل في عملية التبشير.

ومما أثار استغراب الملك أن سيلفيرا لا يقبل الهدايا المرسلة إليه، ,انه ليس مثل البرتغاليين الطامعين في الذهب، كما "سيلفيرا' التأثير على الملك من خلال تمثال 'مريم العذراء' كما يعتقدون، فطلب هذا التمثال حتى يبقيه عنده في القصر.

كما أوهمه أن هذه السيدة هي أم الكون كله فبدأ الملك يميل إلى تعاليم الكاثوليكية المسيحية، حيث لازم 'سيلفيرا' الملك أربعة أيام يعلمه تعاليم الدين المسيحي، والكاثوليكية بشكل خاص، وبمرور الوقت استطاع تحويل زهاء 300 شخص، وبشكل عام يعتبر هذا الأمر تمردا أو خرقا لأعراف وتقاليد المملكة، وعلى هذا الأساس أصبح 'المنصر سيفيرا' بمثابة تهديد للمملكة ولرواج تجارة الذهب اليت كانت مزدهرة، فلم يستعمل السلاح أبدا؛ لكن بوصول هذا الأخير أصبحت المؤامرات ومحاولات الانقلاب تحاك من قبله، وأضحت المملكة في خطر.

الحملة المعارضة لسلفيرا: لقد كان التجار المسلمين الخصوم الرئيسيون للمنصر 'سيلفيرا'، بحيث شعر هؤلاء بأن مصالحهم التجارية في المملكة معرضة للتهديد خاصة إذا تم تحويل الملم 'ميبا نزيقيتي' إلى المسيحية ذ، وفي نظر البرتغاليين أُعتبر المسلمين أنهم حاجزا منيعا لعمل بعثة

الكاثوليك لذلك ركزوا على المناطق التي يستقر بها المسلمين أكثر، فكانوا يتعرضون إلى الكثير من المضايقات، فكان رد فعلهم أن أشاعوا بين الناس: "أن هذا الأوربي يجب أن يموت حتى يعيش اسم محمد، إنهم يريدون السيطرة على كل شيء، دعونا نذهب إلى ملك المونوموتابا الذي هو رجل عديم الخبرة... دعونا نقنعه بأن هذا الكاهن هو جاسوس مرسل له من قبل البرتغاليون، إنه ساحر كبير تصب المياه من رأسه...."، وبتحرك هؤلاء المسلمين بدأ كثير من الزعماء يشعرون بخطر البرتغاليين، فتغيرت سياستهم تجاه كل الأوربيين، كما أعتبروا أن تواجد البرتغاليين بالمملكة هو تعدي على أراضيهم.

هذا وبرز الدور الريادي للمسلمين من خلال مجموعة 'مينغام' المسلمة، حيث حذرت الملك من التعامل مع المنصر 'سيلفيرا' بقولهم: " لا تنسى الاتفاقيات الكاذبة والتي سمحت لهؤلاء الناس في الدخول إلى مملكة الموزنبيق والتي أُحتلت بعنف، والتي كانت احدى مقاطعاتك الست، فلتعلم أن سياسة البرتغاليين هي احتلال كافة ساحل المحيط الهندي بالقارة، والكل يعرف هذا المكر، والمؤامرات التي تحاك هناك".

وبهذا الإبلاغ وضع الملك حدا لسيلفيرا، وتبخرت كل أحلامه بالمملكة.

المحاضرة الخامسة

التوغل البرتغالى فى المونوموتابا:

مع بداية عام 1530 بدا البرتغاليون يتقدمون تدريجيا نحو المناطق الواقعة خلف حصنهم في سوفالة باتجاه المونوموتابا، والبارز في هذا العام هو وفاة الموتابا 'تشيكيو'، وتولي شيشانغوي مونيمير' الحكم إلى غاية 1550، وما بين 1530و 1540م استطاع هؤلاء الأوربيين أن يحلوا محل التجار المسلمين في السيطرة على الطرق التجارية خصوصا الطريق المحاذي للزمبيزي، حيث أنشؤو عدة مدن منها، كيليمان، سينا، تيت، حيث سرعان ما أصبحت مراكز مهمة للتجارة مع مناطق الداخل، محتكرين بذلك تجارة الزمبيزي السفلى التي كان التجار المسلمون يسيطرون عليها؛ لكن بمرور الوقت لم يتراجع المسلمين نهائيا؛ بل تعايشوا مع البرتغاليين لمدة طويلة.

وفي سينا كان التجار البرتغاليون يتاجرون مع المسلمون والأفارقة، ولم برسلوا ما يبيعونه إلى المناطق الداخلية، وعلى الرغم من ذلك يمكن القول أنه حتى عام 1550 كانت العلاقة بين المونموتابا والبرتغاليين جيدة، حيث كان حاكم القلعة البرتغالية في موزمبيق يضطر إلى دفع 300 كرايزدوس قيمتها من القماش، والخرز كل ثلاث سنوات إلى حاكم الموتابا مقابل السماح له بالمرور في أمان عبر مملكتهم؛ مما أغرى البرتغاليون في التوغل أكثر نحو المناطق الداخلية، ومن منتصف القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر كان البرتغاليون قد سيطروا على كامل الطرق الرئيسية المؤدية إلى الساحل، وأصبحت الموتابا تحت رحمة البرتغاليين خاصة بعدما تم تحرير ساحل شرق إفريقيا من قبل العمانيون، فتراجعت كل القوى البرتغالية إلى موزنبيق، وبدأت في تعزيز وجودها أكثر بالمنطقة، والتوغل نحو المناطق الداخلية باتجاه الموتابا، وهو ما أثر سلبا على كيان المملكة، وخصوصا اقتصادها الذي كان يعتمد أكثر على التجارة الخارجية؛ مما سبب خلافات واضطرابات داخلية بالمملكة خاصة لدى السلطة الحاكمة.

كما بدأت المقاطعات غير المتجانسة مع شعوب المونوموتابا بالانفصال تدريجيا عنها معلنة الحرب في وجهها، ومن جهة أخرى لعبت تجارة الرقيق دورا كبيرا في إحداث اختلالات وفوضى لدى مجتمع الشونا حيث صارت المداهمات للشعوب من قبل التجار والرؤساء شائعة مما نتج عنه ردة فعل كبيرة من قبل القرى والقبائل ولدت عدم الثقة في حكامهم، وكان ميناء 'إيبو' الحديث على جزيرة موزنبيق، وميناء كلوة قد شهد نشاطا مزدهرا لتجارة العبيد.

ونتيجة لذلك فقد سلبت الحقوق، ودمرت قرى بأكملها وكان الكل يرغب في الفرار من وطنه، كما أصاب مجتمعات الشونا والموزنبيق أعوم 1834، 1836، 1862 وباء الجدري الذي أثر كثيرا على السكان، وفي عام 1850، و1880 أصاب المجتمع كذلك مرض النوم؛ مما أدى إلى ارتفاع نسبة الوفايات.

ومن جهة أخرى ضاعت كل موارد المملكة من الذهب، وبعض المعادن الأخرى، والمنتجات الزراعية التي كانت نواة التجارة الخارجية والبينية كلها أصبحت تحت سيطرة الشركات البرتغالية.

هذا وتعتبر هجرات النغوني، والزولو، من الجنوب والجنوب الشرقي نحو بلاد الشونا، وحتى زمبيا في الشمال العامل الأبرز في حدوث اضطرابات وحروب داخلية داخل المملكة تزامن ذلك مع بداية التوغل البريطاني القادم من الشمال بقيادة 'سيسيل رودس' عن طريق شركته (الشركة البريطانية لجنوب إفريقيا) حيث استطاع هذا الأخير عقد عدة معاهدات مع الزعماء المحليين بفرض حماية بريطانيا على أقاليم زمبيا، وزمبوي، وتراجع نفوذ البرتغاليين إلى حدود دولة موزنبيق فقط،

وبذلك تبدأ مرحلة جديدة من تاريخ زيمبابوي الذي سيقع تحت السيطرة البريطانية المباشرة بعد مؤتمر برلين 1885، والتي ستفتح المجال للبيض البريطانيين للهجرة والاستيطان نحو روديسيا الجنوبية مما شكل جالية أوربية كبيرة بالمنطقة نظرا لوجود الثروات الطبيعية، كالذهب، النحاس، الحديد.

ومع تزايد عدد هؤلاء سيشكلون قوة سياسية أثناء الفترة الاستعمارية مما يضطر بريطانيا عام 1965 إلى تسليم الحكم إلى البيض عشية خروجها من المنطقة بقيادة 'أيان سميث' لتدخل روديسيا الجنوبية مرحة أخرى من التمييز العنصري والتبعية للبيض إلى غاية 1980م حيث يتحقق الاستقلال على يد 'روبرت موغابي' وحزبه ZANU.

1- مملكة الكونغو :

المحاضرة السادسة

1- الإطار الجغرافي للكونغو: مملكة الكونغو واحدة من الممالك القوية التي ظهرت في الوسط الغربي للقارة الإفريقية بالقرب من مصب نهر الكونغو، وشملت بذلك الإطار الجغرافي الخاص اليوم بجزء من جنوب دولة الكونغو برازافيل، ومعظم المناطق الغربية لدولة الكونغو كنشاسا،

والمناطق الشمالية من دولة أنغولا، وبذلك كان جزءها الشمالي في الضفة الشمالية لنهر الكونغو، والجزء الأكبر في الضفة الجنوبية من النهر.

وتحدها من الجهة الشمالية الشرقية مملكة 'تيو'، ومن الشرق مملكة 'جاغاو'، ومن الجنوب مملكة ديمبو، واللواندا، والغرب المحيط الأطلسي، وبذلك تحتل موقعا استراتيجيا هاما كون نهر الكونغو يخترقها في الجزء الشمالي قادما من المناطق الداخلية للكونغو، كما تقع في منطقة المناخ الاستوائي حيث التساقط الكثيف وخصوبة التربة؛ مما جعلها مملكة زراعية كبرى، وحلقة وصل بين الممالك الداخلية والتجارة الخارجية الأوربية فيما بعد.

أصل سكان مملكة الكونغو: يعود اصل سكان مملكة الكونغو إلأى قبائل البانتو الغربيين، حيث استقروا بها حوالي 400 ق م، وهم في شكل مزارعون، حيث مارسوا زراعة اليام (نوع من البطاطا)، والخضروات، وبذور زيت النخيل، وقد زاد عدد هؤلاء فيما بين القرنين 2 و 5م بوصول شعوب من الشرق يتكلمون لغات البانتو الشرقية، وقد مارس هؤلاء كذلك زراعة الحبوب، كما أقاموا أيضا في المناطق البعيدة عن ذبابة التسي تسي، خصوصا في منطقة شمال أنغولا بتربية الأبقار، وقبيل وصولهم كذلك كانوا قد شغلوا في الحديد.

وبهذا التوافد للشعوب على المنطقة أضحت التنظيمات الاجتماعية و السياسية بعد ذلك أكثر تعقيدا، وتكونت مشيخات بين المحيط ونهر زائير (الكونغو)، ووصل التقسيم الإقليمي للعمل إلى أبعد مداه، ففي حدود عام 1500 كان سكان السواحل يوردون الملح، والأسماك، واستطاعوا تحويل سهل 'لوانغوا' الساحلي إلى منطقة شاسعة لزراعة النخيل من أجل لنتاج زيت النخيل.

نشأة مملكة الكونغو: ظهرت مملكة الكونغوا لأول مرة انطلاقا من مشيخة 'فونغو' شمال نهر الزائير مع بداية القرن 15م، وهذا لانتشار المشيخات، والممالك الصغيرة في أراضي القطاع الأسفل من النهر شمالا وجنوبا.

ويعتبر **'نيمي لوكيني'** هو مؤسس المملكة، كما يعتبر مؤسس مدينة 'مبانزا' كذلك كعاصمة للمملكة، وموقعها اليوم في مدينة 'سان سلفادور' بالكونغو كنشاسا، وأسس 'نيمي لوكيني' مملكته بالتحالف من ناحية مع الزعيم المحلي المعروف باسم الكابونغا، وبغزو الأراضي المجاورة من ناحية أخرى، خصوصا اتجاه البحر والقطاع الأسفل.

ورغم ذلك وحسب معظم المؤرخين تعتبر مملكة 'تيو' الواقعة شمالا هي الأقدم مقارنة بالكونغو.

توسع مملكة الكونغو: خلال القرنين 15 و16م بدأت الكونغو في التوسع والسيطرة على أراضي المشيخات والممالك المجاورة خصوصا المنطقة الواقعة بين هضبة بنغويلا، وهضاب 'باتيكة'، وبين البحر، وما وراء نهر 'كوانغو'.

بحلول عام 1500 كانت حدود الدولة تمتد بمحاذاة ضفة نهر زائير من مصبه في اتجاه أعلى النهر إلى ما فوق ملتقاه بنهر 'أنكيسي'، وجميع الأراضي الواقعة في الجنوب حتى نهر 'لوجي'، كما امتدت على أجزاء واسعة من ممتلكات مملكة 'تيو' التي أصبحت تدفع الجزية أحيانا. وحسب احصائيات بعض المؤرخين فإن سكان مملكة الكونغو وصل حد 2 مليون في حدود القرن 16 و17م.

التنظيم السياسي والإداري للكونغو: يعتبر النظام الملكي هو السائد في الكونغو، بحيث نجد على هرم السلطة الملك الذي يلقب بـ 'موينى' أو كما يحلوا للبرتغاليين تسميته بـ 'ماني'.

ويتم اختيار الملك الجديد من خلال هيئة ناخبين، وبعض المستشارين تتكون هذه الهيئة من 9 و 12 عضو، وفي أغلب الأحيان يكتفون بمبايعة ابن الملك المتوفى.

والملك له السلطة المطلقة في عزل الحكام، وغيرهم من المسؤولين متى يشاء، وحسب ما يراه مناسبا، ولم يكن لطبقة النبلاء كذلك مناصب وراثية، فمع كل ملك جديد يتم إعادة بناء كوادر المملكة حسب علاقاتهم بالملك الجديد وقدرتهم على تسيير شؤون المملكة خصوصا قادة الجيوش منهم.

وعرفت المركزية أيضا حتى في قطاع الجيش، ففي |أواخر القرن السادس عشر كان الحرس الملكي المؤلف من الرقيق قوامه من 1600 إلى 000 20، ويعتبر هو القوة المسلحة الدائمة الوحيدة في المملكة، كما يستدعى الفلاحون في أوقات الحرب للمشاركة في الوحدات الإقليمية.

ومن جهة أخرى عرف ملوك الكونغو بتعدد الزوجات، وهو ما يجعل لهم أولاد كثر، فكانت أسرهم سرعان ما تبلغ أحجاما كبيرة، فبعد حكم استمر 25 سنة مثلا كان 'لأنفونسو' 300 من الأحفاد وأولاد الأحفاد؛ لكن بالمقابل الزوجة الرئيسية للملك هي دائما ابنة أو أخت حاكم 'مباتا'، وهي إقليم يتولى الحكم فيه عن طريق الوراثة ، ومن جهته أمير 'مباتا' زوجته تكزن من إحدى القريبات المباشرات للملك.

كما كان فرع من أقرباء حاكم 'مباتا' يزود دائما المملكة بالمرشد الديني المعروف بـ 'سيد نساكو' الذي كان مسؤولا عن إقامة شعائر تقديس الروح الإقليمية للعاصمة 'مبانزا'، و'نساكو' هو من يتولى تتويج الملك الجديد دائما.

وإلى جانب الملك يحكم المملكة أيضا شبكة من أقارب الملك، وبالتالي كان النظام مركزيا أكثر، والملك هو من يتولى عملية تعيين حكام الأقاليم باستثناء مقاطعة 'مباتا' التي بها الحكم وراثيا ثابتا في أسرة واحدة.

أعضاء حكومة الملك: يتكون ديوان الملك من عدة وظائف مختلفة تتمثل فيما يلي:

- ماني كابونغا Mani Kabonga رئيس مجلس الملك.
- مبينزا كونغو Mbenza Congo الوزير المكلف بالمسائل العسكرية.
- ماني بيمبا Mani Bimba: القاضي .
- نوليمبو Nolumbo: ولي العهد أو ابن الملك.
- ني مبونغي Ne Mpungi قائد الجوق الموسيقي بالقصر الملكي
- وافاديدي نتينو Wavadid Ntinu أحسن النقاشين، والرسامين في قصر الملك، حيث أن مملكة الكونغو اشتهرت بحرفة النقش على الخشب.

هذا وتوجد بعض الألقاب مثل:

- الرجل الحر المعروف بـ فيدالجو Vidalgeu
- كيمبانزو Kimbanzu: واحدة من العشيرتين المكلفة بتحضير اختفالية خلافة الملك الجديد.
- ميشيكونغو Mushikongo قبيلة من محافظة 'مبامبا'.

التقسيم الإداري للمملكة: في بداية القرون الأولى لتأسيس المملكة كانت الكونغو مقسمة إلى قسمين هي المدينة، والريف، والمدينة هي العاصمة 'مبانزا' أو مبانزا كونغو، والريف حيث يعيش عامة الناس، ويعتبر سكان المدينة من النبلاء حيث تقتصر على أقارب الملك والأسر الكبيرة، أو التي لها علاقة مصاهرة مع العائلة الملكية.

وعليه فمعظم الوظائف الرسمية يتم تعيينها من سكان المدينة؛ أي من المقربين للملك والأسر الكبيرة، وحتى قادة وحكام الأقاليم يتم تعيينهم كذلك من سكان المدينة، وبالتالي كانوا يشكلون واجهة لسكان الريف.

ومع مرور الوقت وتوسع مملكة الكونغو أصبحت المملكة مقسمة إلى ست مقاطعات وهي:

- مبيمبا Mbemba.
- مباتا Mbata.
- نسيندي Nsundi.
- مبانغي Mbangu.
- سويو Seyo.
- ندونغو Ndongo.

وحسب المؤرخين المعاصرين هناك تقسيم آخر قسمه هؤلاء حسب الجهات وهو على النحو التالي:

- المقاطعة صفر 0: وهي الواجهة البحرية للمحيط

- المقاطعة 1: تعرف بـ كونغو ديا مبانغلال وتقع جنوبا
- المقاطعة 2: كونغو ديا مولازا وتقع شرقا
- المقاطعة 3 كونغو ديا مبانزا وتقع شمالا.

العاصمة: المدينة عند اصطلاح أهل البلد تعرف بـ 'بنزا' التي تعني القصر، أو مقر إقامة الملك أو الحاكم، وتقع في قلب المدينة بحيث يمكن إرسال النجدات إلى أي منطقة أخرى.

'وبنزا' أطلق عليها البرتغاليون فيما بعد اسم 'سان سلفادور'، فكانت بذلك مركزا تجاريا هاما، وملتقى للطرق التجارية القادمة من الساحل والداخل.

المحاضرة السابعة

الحياة الاقتصادية لمملكة الكونغو:

تذكر العديد من المصادر أن مملكة الكونغو اهتمت بالجانب الزراعي كثيرا؛ لاسيما زراعة السرغو، الذرى، الأرز، المانيوك، إلى جانب زراعة الموز، والاستفادة من أشجار زيت النخيل، وقصب السكر، ولوحظ أن مزارعي المملكة كانوا مهرة في زراعاتهم سواء نظام الري، أو طريقة العمل، وهذا الأخير بصفة عامة كان من اختصاص النساء؛ لأن الرجال كانوا مهتمين بالتجارة، والصناعات التقليدية، والمسائل العسكرية، لكن في الغالب يساعدون النساء في مسائل تحضير الأرض وخدمتها.

وإلى جانب ذلك مارس سكان المملكة نشاطات اقتصادية أخرى منها: تربية الماشية، والأبقار، والماعز، والخنازير، لكن الأبقار عموما كان امتلاكها حكرا على الملك والأعيان، كما مارسوا حرفة الصيد الذي كان يدخل في إطار غذائهم اليومي.

ومن جهة أخرى كانت تقنيات الصناعة التقليدية بما فيها الحدادة محتكرة لدى الطبقة الأرستقراطية ففي المقام الأول نجد أولئك الحرفيين الذين يستعملون المعادن كالحديد في صنع مختلف الأدوات والأسلحة، وعلى هذا الأساس هم يحضون بمكانة هامة، حيث تعادل مكانتهم الاجتماعية القادة العسكريين، أو الكهنة والسحرة.

أما النحاس فقد كان شائعا استعماله في المملكة، بحيث يتم صنع الحلي وبعض الأدوات المستعملة في الحياة اليومية، ومن بين المهن التي كانت لها أهمية كبيرة في المجتمع الكونغولي أيضا نجد النسيج، وذلك باستعمال مواد أولية نادرة أدهشت البرتغاليين عندما دخلوا المملكة أثناء فترة الكشوفات الجغرافية، كما ضمت الكونغو الكثير من المدارس الخاصة بالمهن نجد أشهرها:

- كيمبوسي kimposi.
- كيمكيمبا Kimkimba.
- بويلو Buelo.
- ليمبا Lemba.

وعلى غرار الصناعة والحرف لعبت التجارة أيضا دورا كبيرا في التنمية الاقتصادية للمملكة حيث كان يتم استيراد الملح، المنسوجات ، المواشي،، وكانت عملية الإستيراد، والمبادلات تتم بمراقبة من الملك، أو أعيان المحافظات، ا/ا فيما يتعلق بالتصدير فكانت العمليات تشمل المعادن، المنسوجات المحلية، وفي أواخر عهدها شجعت المملكة تجارة العبيد بعد توغل البرتغاليين؛ مما سيؤثر سلبا على التركيبة الاجتماعية للمملكة.

المحاضرة الثامنة

الحياة الاجتماعية والدينية في الكونغو:

أ/ الحياة الاجتماعية: تذكر العديد من المصادر أن المجتمع في مملكة الكونغو تميز بكونه مجتمعا يغلب عليه الطابع الطبقي، ووجود فوارق اجتماعية بارزة، بحيث كان الرجل أهم من المرأة.

وعليه يوجد في أعلى طبقة النبلاء ويعرفون بـ 'الميسيكونغو'، ثم الريفيون، أو الرجال الأحرار المعروفين بـ 'البابوتا'، وفي آخر السلم طبقة الرقيق المعروفين بـ 'البابيكا'، والعبيد هم ملك للسيد الذي يستفيد من خدماتهم لكن في المقابل يوفر لهم الحماية، ويعاملهم معاملة حسنة بما في ذلك تزوجيهم، وعليه يمكننا القول أن طبقة العبيد تمثل الحد الأدنى من الطبقة الشغيلة في المجتمع.

وعلى هذا التقسيم الطبقي اعتمد البرتغاليون فيما بعد لإنجاح تجارة الرقيق، بحيث استغل الكثير من العبيد ليصبحوا فيما بعد بمثابة النواة الأولى في مسألة رواج تجارة العبيد بعد مرحلة الكشوفات الجغرافية.

وفي عهد الملك 'ألفونسو الأول' 1506- 1543م فتح هذا الأخير البلد أمام البرتغال للتوغل نحو المملكة، وبذلك اتسعت الهوة بين النبلاء والعامة؛ إذ أصبح النبلاء متعلمين واعتنقوا المسيحية، وشاركوا في تجارة العبيد بينما كان العامة يستغلون استغلالا قاسيا.

أما فيما يتعلق بتنظيم الوحدات الاجتماعية فالعشيرة عند أهل الكونغو تعرف بـ 'أيكاندا'، وكانت تعني قبل القرن السادس عشر بالأسرة القائمة على سلالة الأم، فسكان القرية يؤلفون 'أيكاندا' شأنهم تماما شأن جماعة سلالة الأم في تلك القرية، وكان ينظر إلى القرية على أنها ملك لجماعة من الناس تربطهم صلة نسب أمومي، وينحدرون من مؤسس القرية الذي يمثله زعيم القرية المعروف بـ 'النكولونتو'؛ أي المسن، وللقرية الحق في الأرض، وكان سكان القرية المعروفين بـ 'الكيتومي' يخلدون الروح التي تسكن تلك الأرض.

وتوجد عدة طوائف في مجتمع الكونغو مثل 'خيمبا'، 'نزولونغو'، 'كيمباسي'، وجميعها طوائف لتلقين أسرار الجماعة للأولاد، وللمداواة، وكان الزواج يحدد السلالة، والقرابة عامة، كما كان يفضل الزواج بأبناء أو بنات الخال، أو العمة، ولم تكن تدفع مهورا للزواج باستثناء بعض الهدايا التي تقدم إلى الزوجة وليس لأهلها.

وعلى الرغم من ذلك وضع السلالات الأبوية- الأبناء- ازداد أهمية فالأموال المنقولة التي تكتسب بالتجارة كانت في حق الأبناء لذلك أصبح النسل الأبوي أكثر أهمية من النسب الأبوي مع مرور الوقت.

ب**/ <u>الحياة الدينية:</u>**

لقد انطبع تاريخ الأديان والاديولوجيات في ظاهره باعتناق المسيحية الكاثوليكية التي انتشرت بين النبلاء في الحضر (المدينة)، وفي عواصم الأقاليم، ولكن هذا لا يعني أن سكان الكونغو لم يكن لهم دين يعتنقونه قبل وصول المسيحيين فقد أوضح المؤرخ 'هيلتون' عن وجود اعتقادات في مجموعة من الإواح السماوية غير الأرواح المرتبطة بالشمس والقمر، كما وجدت عدة مفاهيم للديانات القديمة بالمملكة مثل مفهوم 'نكادي أمبيمبا'؛ أي الشيطان، و'نكادي' هي روح خطيرة لأحد الأسلاف و 'مبيمبا' هي الصلصال.

لكن ابتداء من القرن السابع عشر بدأ الناس يتحولون من معتقداتهم التقليدية إلى المسيحية الكاثوليكية، وبدأ تقديس الأرواح في تدهور خصوصا في عهد 'ألفونسو الأول'، فقد أجريت محاولة أولى لإقامة كنيسة محلية في ثلاثينيات القرن السابع عشر بدأت الجمعيات الدينية تظهر ببطء، وبمرور الوقت بدأت تتحول طقوس الدفن التقليدية إلى الدفن في الكنائس، ومثلما كان للمنصر 'دي سيلفيرا(الدور البارز في إدخال المسيحية بمملكة المونوموتابا، عين أيضا مهامه بها، التوجه إلى الكونغو لإرساء دعائم المسيحية هناك، ومنذ النصف الثاني للقرن السادس عشر والجمعيات التبشيرية تمارس نشاطها حتى تم تحويل معظم سكان المملكة إلى الديانة المسيحية .

<u>سقوط المملكة:</u> تشترك عدة عوامل في سقوط المملكة نذكر منها:

- إن التواجد البرتغالي في المملكة ابتداء من نهاية القرن السادس عشر في إطار الكشوفات الجغرافية يعد عملا وراء تراجع قوة ونفوذ المملكة، حيث أقاموا في بداية الأمر بربط علاقات جيدة مع ملوك الكونغو، ثم اصطحبوا معهم كثير من رجال الدين للقيام بمهمة نشر المسيحية، وفتح المجال للجمعيات التبشيرية، وهو ما يجعلهم فيما بعد يتحكمون في كثير من زمام الأمور؛ أي تعتبر دخول المسيحية هو بداية لنهاية المملكة.
- تعتبر تجارة العبيد من العوامل المهمة أيضا التي كانت وراء انهيار مملكة الكونغو، فبعد تمكن البرتغاليون من اكتشاف البرازيل، والشروع في استغلال الإمكانيات الاقتصادية بادروا إلى نقل عبيد الكونغو إليها، فانخفضت بذلك نسبة الكثافة السكانية من 35 ن/كم^2 إلى 5 ن/كم^2.
- انفصال الكثير من المحافظات عن الحكومة المركزية فتقلصت بذلك المملكة وأصبحت مملكة صغيرة حتى تم تقسيمها عشية مؤتمر برلين إلى جزأين فرنسي وبلجيكي

المراجع:

- تاريخ إفريقيا العام المجلد الخامس
- تاريخ افريقيا العام المجلد السادس
- تاريخ إفريقيا العام المجلد السابع
- جمال الدين عمراوي: دور قبائل البانتو في تأسيس مملكتي المونوموتابا والكونغو، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر2، 2018
- منصف بكاي: دراسات وأبحاث في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء